إيمان المرأة الكنعانيّة
مر ٧: ٢٤-٣٠

الأب
ريمون الهاشم
دكتور في
العلوم الدينيّة

مقدّمة

بين صفحات الإنجيل، وللتعمّق بإيماننا، اخترنا أن نمضي مع يسوع «من هناك» إلى بيت يقع في أرض لبناننا الجنوبيّ وتحديدًا في صور. هل كانت مجرّدَ صدفة أنّ الربّ سيلاقي في هذه البقعة إيمانًا عميقًا على أرفع المستويات في حين» أنّه كان يتوخّى أن لا يعلم به أحد»؟ أم أنّه أراد أن يمضي بتلاميذه بعيدًا عن موطنه في الناصرة حيث تعجّب من عدم الايمان وحيث لم يستطع أن يُجري المعجزات)يو٦: ١-٦)، فوصلت به أقدامه إلى الأرض التي ستصير تُعرف بعد هذه الفترة بألفي سنة بأرض شربل، ورفقا، ونعمة الله، وإسطفان، وأبونا يعقوب، أرض لبنان المجبولة على صخرة الايمان؟

بعد تحديدنا للإطار الأدبيّ القريب والبعيد لـ مر ٧: ٢٤-٣٠، الذي يعيننا على استيعابِ الرسالة التي يتوخّى الإنجيليّ ايصالها من خلال الأطر التي اختارها، سننظر عن كثب إلى المثال الإيمانيّ الذي تُجسّده المرأة الوثنيّة، ونستخلص من خصائصه، العِبر التي تُعيننا على إعادة إحياء إيماننا.

١- الإطار القريب لـ مر ٧: ٢٤-٣٠

في مرحلة من تجواله، ترك يسوع موطنه اليهوديّ إلى مدينة صور الشماليّة التي كان سبق وأتى أهلها إلى يسوع بحسب رواية الإنجيل (٣: ٨). وهناك قابل امرأةً يونانيّة، من أصل سوريّ فينيقيّ- وهذا التوضيح لإثنيّتها يجذب انتباه القارئ إلى كونها أمميّة. وبلغةٍ مجازية، يصوغ كلّ من يسوع والمرأة العنصر الأساسيّ للقصّة: هي لا تنتمي إلى البنين اليهود (٧: ٢٧، ٢٨) بل إلى الكلاب الأُمَميين (٧: ٢٧، ٢٨). إنّ جواب يسوع لها «دعي

البنين أوّلاً يشبعون، فلا يحسُن أن يُؤخذ خبز البنين، فيُلقى إلى صغار الكلاب» لهو أساسيّ، ومجازيّ في تعبيره. ولا دخلَ لملاحظته بالكلاب العاوية ولا بالأولاد الصغار، بل الإشارة هي إلى التمييز بين اليهود كأبناء والأمميّين ككلاب، أي بأفضليّة اليهود على سواهم في مشروع يسوع التبشيريّ. فحتّى تلك المرحلة من الانجيل، لم تشمُلِ الكرازة سوى الشعب اليهوديّ ما عدا في (٥: ١-٢٠) كما يستنتج القارئ من العلامات في النصوص كالجغرافية، والهيكليّة والوجوه الدينيّة والمفردات اللغويّة والإشارات التي تُستعمل لإيضاح انتماء الأشخاص كما هي الحال في نصّ إطعام الخمسة آلاف (٦: ٣٣-٤٤: المكان القفر، الراعي، جلوس الناس ضمن مجموعات، الإشارة إلى مز ٢٣، الاثني عشر سلّة)[1].

يروي مرقس ٧: ٢٤- ٨: ٩ ثلاثة أحداثٍ متتالية مع أناسٍ من الأمميّين: المرأة السوريّة الفينيقيّة (٧: ٢٤-٣٠)، والرجل الأصمّ (٧: ٣١-٣٧)، والأربعة آلاف (٨: ١-٩). رحلة يسوع إلى صور هي الثالثة من نوعها التي يتوغّل فيها إلى أرضٍ وثنيّةٍ منفصلةٍ عن المنطقة الجيوسياسيّة التابعة للموطن اليهوديّ. ويأتي خبر هذه الرحلة ضمن إطار مواجهتين بين يسوع والقادة الدينيّين (٧: ١-١٣؛ ٨: ١١)، ويرى العلماء أنّ غياب العناصر اليهوديّة المعروفة (المجمع، والهيكل، والفرّيسيّين، والصدّوقيّين، والكتبة، والكهنة) يجعل من مر ٧: ٢٤- ٨: ٩ فقرةً أدبيّةً قائمة بذاتها[2].

٢- الإطار البعيد لـ مر ٧: ٢٤-٣٠

يضع بعض العلماء هذه الفقرة ضمن بنيةٍ أوسع من الإنجيل من باب مر ٨: ١ الذي يقدّم لنا عدّة دالاتٍ منها في الآية الأولى الإشارة الزمنيّة «في تلك الأيّام» التي تربط مقطع «إطعام الأربعة آلاف» بالحادثتين السابقتين «اللّقاء مع المرأة السوريّة الفينيقيّة» و«شفاء الأصمّ»، وكلمة «أيضًا» التي تحملنا إلى حادثة إطعام الخمسة آلاف على تربة يهوديّة (٦: ٣١-٤٤) حيث تحنّن يسوع أيضًا على الجمع في البرّيّة، وكثّر الخبز والسمك،

1 J. MARCUS, *Mark 1-8: A New Translation with Introduction and Commentary*, (AB 27; New York: Doubleday, 2000) 492.

2 J. R. EDWARDS, *The Gospel According to Mark*, (Pillar New Testament Commentary; Grand Rapids: Eerdmans, 2002) 215.

وأشبع الجموع[٣]. فيمكننا إذًا أن نستخرج أنماطًا مختلفة للفقرة لو تفحّصنا الرواياتِ السابقة واللاحقة ضمن (مر ٦: ٣١- ٨: ٣٠) الذي يتضمّن معجزتي خبز (٦: ٣١-٤٤؛ ٨: ١-١٣)؛ ومشهدَي سفينة (٦: ٤٥-٥٢؛ ٨: ١٣-٢١)، وحدثَي خصام (٧: ١-٢٣؛ ٨: ١١-١٢) وعجيبتَي شفاء (٧: ٣١-٣٧؛ ٨: ٢٢-٢٦)[٤]؛ وقد جعلت هذه الملاحظات العلماء يعرضون عدّة اقتراحاتٍ ليشرحوا ترداد العناصر في مر ٦-٨، نعرض منها مثلاً تقسيم وليام لاين الذي اقترح بأنّ ٨: ١-٣٠ يوازي ٦: ٣١- ٧: ٣٧[٥]. بالنسبة إلى لاين، هذا الترتيب في مرقس يشير إلى حاجة يسوع لتكرار الأفعال والتعليم مرّةً ثانيةً لكي يتسنّى للرسل ترسيخ الفهم.

٦: ٣١-٤٤	إطعام الأربعة آلاف	٨: ١-٩
٦: ٤٥-٥٦	اجتياز البحر والوصول إلى البر	٨: ١٠
٧: ١-٢٣	الخصام مع الفرّيسيّين	٨: ١١-١٣
٧: ٢٤-٣٠	حوار حول الخبز	٨: ١٤-٢١
٧: ٣١-٣٦	الشفاء	٨: ٢٢-٢٦
٧: ٣٧	الاعتراف	٨: ٢٧-٣٠

٣- البنية الأدبيّة لـ مر٧: ٢٤-٣٠

مر٧: ٢٤-٣٠ هو رواية قصيرة لشفاء ابنة المرأة السوريّة الفينيقيّة، وتُظهر البنية الداخليّة أنّ الحوار بين المرأة وبين يسوع هو مركز اهتمام الإنجيليّ، وليس عمليّة الشفاء

3 F. J. MOLONEY, *The Gospel of Mark*: A Commentary, (Peabody: Hendrickson, 2002) 152.

4 R. H. LIGHTFOOT, *History and Interpretation in the Gospels*, (New York: Harper & Brothers, 1935) 114-17.

5 W. L. LANE, *The Gospel According to Mark: The English Text with Introduction, Exposition, and Notes*. NICNT. Grand Rapids: Eerdmans, 1974, 269.

بحدّ ذاتها؛ فبالمقارنة مع غيرها من المعجزات وأحداث طرد الشياطين، لا تسرُد هذه الرواية تفاصيل حدث الشفاء، بل يفتح الحوار في آ ٢٧-٢٩ المجال واسعًا لفهم العلاقة بين اليهود والأمميّين.

تُقسم هذه الوحدة القائمة بذاتها إلى خمسة أقسام:

الإطار (٧: ٢٤)

طلب المرأة السوريّة الفينيقيّة (٧: ٢٥-٢٦)

أجوبة يسوع والمرأة (٧: ٢٧- ٢٨)

منح الطلب وشفاء الابنة (٧: ٢٩)

رجوع المرأة إلى بيتها وتثبيت الشفاء (٧: ٣٠)

٤- شرح النصّ

تبدأ قصّة المرأة الوثنيّة مع إشارةٍ مكانيّة «من هناك» (٧: ٢٤) تربطها بالحديث السابق الذي يجريه يسوع على انفراد مع تلاميذه لتفسير مثل الطاهر والنجس (٧: ١٤-٢٣)؛ ومن بيت يقع في القسم اليهوديّ (٧: ١٧)، بادر يسوع بالذهاب إلى بيت آخر يقع في المنطقة الوثنيّة من صور (آ ٢٤). في الواقع تقع العديد من الأحداث التي نجدها في مرقس ضِمن إطارٍ بيتيّ كالشفاءات (١: ٢٩؛ ٢: ١؛ ٥: ٣٨)، والتصادم مع الفعّاليات الدينيّة (٢: ١٥؛ ٣: ٢٠)، وتعليم الرسل (٧: ١٧؛ ٩: ٢٨، ٣٣). وعلى الرغم من محاولة يسوع أن يكون دخوله مخفيًّا، فإنّ أمر وصوله كُشف سريعًا تمامًا كما كانتِ الحال بالنسبة لمَهمَّته التبشيريّة بين اليهود (١: ٤٥) فإنّ شُهرته كانت دومًا تسبقه في تنقّلاته دون سيطرته. فبين وصول الوثنيّين إلى الأرض اليهوديّة، ومجيء يسوع إلى أرض صور، تسارعتِ الأخبار إلى الأمميّين عن طريق من شهدوا أعماله (٣: ٧-١٢) .لا نستغرِبَنَّ «انحراف» مسيرة يسوع إلى هذه البقعة الجغرافيّة التي يشير من خلالها الإنجيليّ إلى مشروعٍ مستقبليّ للكرازة سينفتح على الأمميّين.

وقد جذب خبر وصول يسوع إلى المنطقة متوسّلةً ستكون الشخصيّة الرئيسيّة إلى جانبه في هذا النصّ، والسرعة التي تهرع فيها المرأة الوثنيّة وارتماؤها على قدميه يعكسانِ ثقتها بكون يسوع قادرًا على تلبية حاجتها الموقف مشابه في طبيعته بتوسّل يائيرس (٥: ٢١-٤٣)؛ ففي كلّتَي الحالتين، المتوسّل له ابنة بها حاجة، يأتي إلى يسوع، ويرفع طلبًا بالشفاء، وينال مطلبه ضمن إطار منزل؛ ولكن فيما يقع الحدث الأوّل على أرضٍ يهوديّة، يقعُ الثاني في القسم الوثنيّ، وفيما الشخصيّة الأولى رجل يهوديّ معروف هو أحد رؤساء المجمع، الثانية هي امرأة مجهولة الهويّة، من أصلٍ سوريّ فينيقيّ.

نستطيع القولَ أنّه من وجهة انتمائهم العرقيّ والاجتماعيّ، التناقض مضخّم[٦]: شخصيّتان جمعتهما الحاجة، ولم تؤثّر على موقفهما فروقاتهما الاجتماعيّة، بل إنّ المرأة لم تَثبط عزيمتها بسبب خلفيّتها، إنّما ظلّت تطلب طرد الروح النجس من ابنتها.

من هنا، يدور مِحور الحوار بين يسوع والمرأة الوثنيّة حول انتمائها العرقيّ، وليس حول مطلبها بشفاء ابنتها، ويأتي جواب يسوع غير مباشر وتعليميًّا، ومفهومًا بأجزائه: إنّها غطرسة من قبل «كلب» وثنيّ أن يفرِض ذاته على نعم الملكوت المُمثّلة بالخبز، الحقّ المكتسب لأبناء إسرائيل[٧].

ينعت يسوع المرأة بالكلب الذي يُعتبر بحسب التقليد اليهوديّ حيوانًا نجسًا يكسح الطرقات بين النفايات، والجثث (خر ٢٣: ٣١؛ أم ٢٦: ١١؛ ١ مل ٢١: ٢٣؛ ٢٢: ٣٨؛ ٢ مل ٩: ٣٦)[٨]، وفي العهد القديم أيضًا صارتِ الكلمة تشمل أعداء اليهود (١ صم ١٧: ٤٣؛ مز ٢٢: ١٦؛ أش ٥٦: ١٠-١١)[٩]. هذه التسمية تشير إلى أنّ طلب المرأة رُفض على أساس اثنيّتها، وأنّ الأمميّين لن يطالوا شيئًا من البركات قبل أن يتنعّم الإسرائيليّون. فهل يا ترى يستند يسوع المسيح على الانتماء العرقيّ في توزيع نعمه أو نشر بشارته؟ سنحاول الإجابة على هذا السؤال في الخاتمة. أمّا الآن فسنحاول إبراز الأبعاد الثلاثة التي اتّصفت بها المرأة السوريّة الفينيقيّة.

6 R. A. GUELICH, *Mark 1-8:26*, (WBC 34A; Dallas: Word Books, 1989), 385.

7 H. RAISANEN, *The 'Messianic Secret' in Mark*, (Studies of the New Testament and Its World; Edinburgh: T & T Clark, 1990) 26.

8 D. G. REID et al., *Dictionary of Biblical Imagery*, (Downers Grove: Intervarsity, 1998), 214.

9 S. RINGE, "*A Gentile Woman's Story, Revisited: Rereading Mark 7:24-31*", in A Feminist Companion to Mark, (ed. A.-J. LEVINE; A Feminist Companion to the New Testament and Early Christian Writings 2; Sheffield: Sheffield Academic Press, 2001), 89.

الإيمان

لا ترد كلمة «إيمان» أو فعل «آمن» في خبر مرقس عن المرأة السوريّة الفينيقيّة؛ وعلى الرغم من غياب المفردات، فإنّ موضوع الإيمان حاضرٌ في عمق الحدث[١٠]؛ فما إن عرفتِ المرأة بوصول يسوع حتّى هرعت إليه تسترحمه بشأن ابنتها الممسوسة مع أنّها كانت تقطن في منطقة نائية ومعرفتها ليسوع متأتّية عن مصادر ثانويّة. ومن سجودها له ورفعها لطلب الشفاء، اظهرت ايمانها بقدرة يسوع على منحها حاجتها. من الجدير بالذكر إلى أنّه لا يظهر منذ بداية الخبر (٧: ٢٥-٢٦) عدم وجود الفتاة مع أمّها (٧: ٣٠)، على عكس ما يدور في الأحداث التي يُحمل فيها المرضى والممسوسون إلى يسوع (١: ٣٢؛ ٦: ٥٥؛ ٧: ٣٢) حيث يظهر أيضًا إيمان الفريق الثالث المسترحِم ولكن تبرز الأهمّيّة التي يعلّقونها على جذب المريض إلى جوار يسوع؛ فمثلاً حينما حمل أربعة رجالٍ المقعد إلى المنزل المتواجد فيه يسوع واكتشفوا صعوبة الدخول بسبب الجمع الغفير، تجاوزوا الوضع بأن نبشوا السقف ودلّوا المريض (٢: ١- ٥). من غير التقليل من درجة إيمان سائر المتوسّلين المرقسيّين، لا يسعنا التغاضي عن ثقة المرأة الجريئة بشخص يسوع التي لم تجدْ حتّى ضرورةً في وجود ابنتها الجسديّ لتتُمّ عمليّة الشفاء. تجدر الإشارة إلى أنّه في الأناجيل الإزائيّة، كلّ عجائب الشفاء التي تمّت عن بعد كانت بطلب من أحد الأمميّين (مت: ٨: ٥-١٣؛ لو ٧: ١-١٠).

وقد خاطبتِ المرأة يسوع وتعاطت معه على أساس أنّه «ربّ» «كيريي» معلنةً قمّة إيمانها بأنّ الفُتات المتساقط عن موائد الأطفال يكفي لشفاء صغيرتها. وما إن وهبها يسوع مطلبها حتّى وثقت بكلمته وعادت أدراجها (٧: ٣٠). تُذكّرنا صورة هذه المرأة بالمرأة المنزوفة (٥: ٢٥-٣٤)، فكِلتاهما أنثى (٧: ٢٥؛ ٥: ٢٦)، الأولى وثنيّة والثانية يهوديّة، سمِعتا بيسوع (٧: ٢٥؛ ٥: ٢٧)، فجاءتا وحملتا إليه حاجتهما (٧: ٢٥؛ ٥: ٢٥)، وارتميتا عند قدمَيه (٧: ٢٥؛ ٥: ٣٣) وعلى الرغم من اختلاف الإطار وأسلوب المبادرة بينهما، فالحادثتان تتشابهان على مستوى أجوبةِ المرأتين حيث أنّ كلتيهما مثال في الإيمان يُحتذى به. وتعكس كلمات المرأة الوثنيّة ايمانها بقدرة الله الفاعلة في يسوع، ومن هنا

---

١٠ pistiss أي "إيمان" ترد فقط خمس مرّات في إنجيل مرقس (٢: ٥؛ ٤: ٤٠؛ ٥: ٣٤؛ ١٠: ٥٢؛ ١١: ٢٢) وpistevo آي "آمن" ترد عشر مرّات في (١: ١٥؛ ٥: ٣٦؛ ٩: ٢٣، ٢٤، ٤٢؛ ١١: ٢٣، ٢٤، ٣١؛ ١٣: ٢١؛ ١٥: ٣٢)

يتأتّى الشفاء عن هذا الجواب الإيمانيّ النموذجيّ الذي يطبع المعجزات.

المثابرة العنيدة

لقد جاء جواب يسوع «دعي البنين أوّلاً يشبعون، فلا يحسن أن يُؤخذ خبز البنين، فيلقى إلى صغار الكلاب» (آ ٢٧) في معرض تهكّم هدفه امتحان المرأة المتوسّلة، وهذا يفهمه القارئ جيّدًا ضمن السياق السرديّ ويعي بأنَّ الأُمميّين لن يُحرموا هبةَ الله. لم يكن المسيح المرقسيّ ينوي أن يسفِّه المرأة، ولكنّ النمط الساخر يتطلّب مستوياتٍ متعدّدةٍ من الكلام. يعتبر مُيوك أنّ السخرية هي حدث مزدوج التركيبة. في المستوى الأوّل تكون الحال بحسب ما تراها الضحيّة (في حال وجودها)، أو بحسب ما يعرِضها الساخر (في حال وجوده)، وعلى المستوى الأعلى تكون الحال كما تظهر للناظر[11]؛ بعبارة أخرى، يكون تحليل الوضع أو الكلام من وجهة نظر المشاهد. بالنسبة ليسوع (الساخر) والقارئ المؤمن اليوم، فإنّ آ ٧: ٢٧ هي امتحان كلاميّ لإيمان المرأة، ولكن بالنسبة لضحيّة السخرية (المرأة السوريّة الفينيقيّة - يونانيّة) فإنّ جواب يسوع لها هو رفضيّ. من هذا المنظار، فإنّ ردّها عليه (٧: ٢٨) جذريّ يعكِس تصميمها على نيل الشفاء لابنتها، ويتصدّى لحكم التمييز ضدّ غير الأبناء المُمارس عادةً من قِبل القادة اليهود والذي اعتمده يسوع في السياق الجاري (٧: ١-٢٣)، ويُعينها ايمانها على تخطّي العراقيل، فكما يتجاوز المُقعد وحامليه تخوم الجمع في المنزل (٢: ١-١٢)، وكما تنتهك المرأة المنزوفة جميع المحظورات الاجتماعيّة لتلمُس ثوب يسوع (٥: ٢٥-٣٤)، وكما يصرّ يائيرس على إيمانه على الرغم من موت ابنته وتهكّم الآخرين (٥: ٣٥- ٤٣)، ويرفض برطيماوس أن يمُرّ يسوع دون أن يسمع صراخه (١٠: ٤٦- ٥٢)، كذلك تُجسّد المرأة الوثنيّة الفكرة المتأصّلة في صفحات الإنجيل بأنّ الإيمان المرقُسيّ مجبول بالمثابرة العنيدة[12].

11 D. C. MUECKE, *The Compass of Irony*, (London: Methuen, 1969), 19-20.

12 MARSHALL, C. D., *Faith as a Theme in Mark's Narrative*, SNTSMS 64. Cambridge: Cambridge University Press, 1989, 237.

الفهم

صوّر لنا مرقس إذًا بُعدَين في شخصيّة المرأة الوثنيّة هما إيمانها الذي يحطّم جدار المخطّطات والاعتبارات الدينيّة، ومثابرتها الدؤوبة التي تصل إلى حدّ العناد، وهنالك بعد ثالث هو أيضًا بالغ بالأهمّيّة أظهره مرقس في تصويره لها وهو الفهم. هذه المرأة المجهولة الهويّة هي على نحوٍ لافتٍ للنظر الشخصيّة الوحيدة التي تنادي يسوع بـ «ربّ»[١٣]، والوحيدة التي تسمع كلامًا رمزيًّا وتفهمه دون حاجةٍ ليسوع بأنّ يشرحه.

ما يعطي وزنًا لميزة المرأة الوثنيّة هو ما يقابلها من قلّة فهم لدى الرسل والقادة الدينيّين؛ في الفصول ٤-٨، يتوقّع القارئ من الغرباء سوء الاستيعاب (٤: ١١-١٢)، ولكن يبدو أنّ التلاميذ الأقرباء هم الذين يقعون في الحيرة وقلّة الفهم (٤: ٤١؛ ٥: ٣١؛ ٦: ٣٠)؛ لقد عَميت بصيرتهم (٦: ٥٢)، وغابوا عن الفهم (٧: ١٨)، وهم على غرار ممثّلي إسرائيل لا يفقهون لأنّ قلوبهم قاسية (٦: ٥٢؛ ٨: ١٧)، ولأنّ عيونهم لا ترى وآذانهم لا تسمع (٨: ١٨). أمام هذه الرقعة من قلّة الادراك، تحبُك المرأة الوثنيّة نسيجًا من الفهم يجعل منها مثال التلميذ، ومع أنّها من خارج الدائرة الحميمة ليسوع، فإنّ بصيرتها منفتحة على جوهر التعليم.

هذه المؤمنة الغريبة لا تُدرك أنّ قدرة الله كامنة في يسوع وحسب، بل هي توقِن تمامًا بين ثنايا اللّهجة القاسية للربّ التي تفترض ردّ سؤلها العزيز على قلبها بأنّها من لدنْهِ ستنال رحمةً كبرى، وبتواضع شديد تُعقِّب على جوابه باستعارة تعابيره لقلب مقاييس المعادلة مُبرهنةً على فهمٍ عميقٍ لمقاصد الربّ. هي تُدرك أبعاد مَهمّة يسوع الأرضيّة التي تُفتّش عن الضالّين من إسرائيل قبل أن تطال برحمتها الخارجين عن البيت من الأمميّين. جواب يسوع للمرأة أوسع من مجرّد استجابة لطلبها؛ ففي ردّه «من أجل قولِك هذا ...»، اعترافٌ فعليٌّ ببصيرتها من خلال جرأةِ جوابها.

خاتمة

١٣ تردّ كلمة "ربّ" ١٦ مرّة في مرقس: الراويّ (١: ٣)، المرأة الفينيقيّة (٧: ٢٨)، الجمع (٩: ١١)؛ وفي ما عدا ذلك فإنّ يسوع هو الوحيد الذي يستعمل الكلمة في مرقس (٢: ٢٨؛ ٥: ١٩؛ ١١: ٣؛ ١٢: ٩، ١١، ٢٩، ٣٦؛ ١٣: ٢٠، ٣٥).

المسيح هو الله، وبيده الخلاص، وبيده الهلاك، الحياة والموت، وبالرغم من ذلك ضمن بيئته وعشيرته لم تحدثِ الآيات عن يده، لأنّ الأمر يتعلّق بالإيمان، وبه فقط وليس بعمل يسوع (٦: ١-٦). لا ينال الإنسان الرحمة الإلهيّة قبل فعلِ الإيمان، وأمّا المصائب والويلات فلا يسبّبها الله، بل إنّ الحرّيّة المتروكة للطبيعة من قِبل الخالق هي التي تسبّبها، وحرّيّة الإنسان المزروعة فيه من قبل الخالق أيضًا هي التي تلجأ إلى الايمان أو تنبذ الرحمة المقرونة به.

في صميمِ الوثنيّة، لا اعتراف بالله، والفينيقيّون هم من الوثن، وأمّا البنون فهم المعترفون بوجود الله، وبأعماله، حرَّرهم من استعباد الفراعنة لهم، وجلَبهم إلى أرض الميعاد، الأرض المعدّة لاستقبال الأنبياء الذين سيتنبّؤون بمجيء المخلّص إليها. ومن خلال رجوعهم إلى أرض الميعاد، ومن خلال النبيّ موسى عرفوا بأنّ الله تدخّل في حياتهم بسبب تفتيشهم الدؤوب عنه. لهم «أن يشبعوا أوّلا»، لأنّهم تعرّفوا عليه، فاكتسبوا الرحمة عن سابق استحقاق، لذا «لا يجوز أن يُؤخذ خبز البنين ويُرمى للكلاب» الغير مستحقّين لرحمةٍ لم يعترفوا أصلاً بمصدرها؛ وإذا هو أجرى الشفاء للابنة الوثنيّة، أفلا يحمِل الوثنيّين على الإيمان به من باب المعجزة بدل أن يشفي مرض الفتاة من باب إيمانهم؟ إنّ القاعدة الذهبيّة التي ميّزتِ البنين هي تفتيشهم وإيمانهم اللّذَين سبقا تحقُّق الآيات، البنون إذًا ليسوا كلّ اليهود، فأبناء الناصرة سلكوا شبه مسلكٍ وثنيّ وهم يهود، البنون هم المميّزون عند الله، الذين ميّزوا ذواتهم بمواقفهم الصائبة.

هذه المثابرة نجدها في تخطّي المرأة لملاحظة يسوع، وقد يبدو لنا للوهلة الأولى أنّ نعت يسوع للمرأة بالكلب يخرج عن إطار تعليم يسوع بالمودّة والاحترام، ولكن يظهر لنا بعد ذلك جليًّا أنّ ما ينتقده يسوع في طبيعة الوثنيّين هي صفةٌ معينةٌ من صفات الكلب، فهذا الحيوان يتحول وفيًّا إلى كلّ إنسان يُقرّب له الطعام حتّى ولو لم يكنْ صاحبه الأصليّ، ويهرب فورًا عندما ينتهره أحدٌ من الناس. ما وصفه إذًا يسوع بالكلب هو حالةٌ بشريّةٌ نعيشها حتّى اليوم في كلّ مرّةٍ نُعلن وفاءنا إلى من يُغذّي مصلحتنا، وننبذه حين يمنع عنّا لُقمة العيش، أي يمنع عنّا الشفاء الذي يطلبه المؤمن الحقيقيّ مهما كانت ملّته، يهوديًّا أم غير يهوديّ. والمرأة الفينيقيّة أدركت في قرارة ذاتِها ما يشجُبه يسوع من صفةٍ معروفةٍ عن الكلاب، ألا وهي قلّة الوفاء والولاء الحصريّ إلى من يلبّي المصلحة الشخصيّة، ولأجل إدراكها هذا قبِلت بالصفة، وتبنّتها باتّضاع تامّ، مشيرةً إلى أنّه «حتّى الكلاب تأكل تحت المائدة من فتات البنين، أي إلى استعدادها أن ترفع طلب الشفاء مُستندةً على ايمان

البنين، مُعلِنةً بذلك ايمانَها بكلّ من آمن بالمسيح، معتبرةً ذاتها من جِراء الكلاب لا يحقّ لها أن تُؤمن بيسوع، بل ستؤمن بمن آمن به.

ما يلفُت نظرنا إذًا في هذه الطاقة الإيمانيّة التي برهنت عنها المرأة السوريّة الفينيقيّة هو شهادتها للمسيح ولقدرته وللنعمة السماويّة التي تملؤه، وذلك قبل تحقّقها من شفاء ابنتها؛ وقد أعلنت ما أعلنته في حوارها مع الربّ من استسلامٍ وايمانٍ بمعزلٍ عن خبر الشفاء، وعادت أدراجها وقد نالت ملْء الايمان فوجدتِ ابنتها قد شُفيت[١٤].

المراجع

EDWARDS J. R., *The Gospel According to Mark*, (Pillar New Testament Commentary; Grand Rapids: Eerdmans, 2002) 215.

GUELICH R. A., *Mark 1-8:26*, (WBC 34A; Dallas: Word Books, 1989), 385.

LANE W. L., *The Gospel According to Mark: The English Text with Introduction, Exposition, and Notes*, NICNT, Grand Rapids: Eerdmans, 1974, 269.

LIGHTFOOT R. H., *History and Interpretation in the Gospels*, (New York: Harper & Brothers, 1935) 114-17.

MARCUS J., *Mark 1-8: A New Translation with Introduction and Commentary*, (AB 27; New York: Doubleday, 2000) 492.

MARSHALL, C. D., *Faith as a Theme in Mark's Narrative*, SNTSMS 64. Cambridge: Cambridge University Press, 1989, 237.

١٤ إنّ العديد من شرّاح الكتاب المقدّس يعتبرون الروح النجس مرضًا جسديًا وليس أكثر، وقد تماشى المسيح مع قناعات ذلك العصر.

MOLONEY F. J., *The Gospel of Mark: A Commentary*, (Peabody: Hendrickson, 2002) 152.

MUECKE D. C., *The Compass of Irony*, (London: Methuen, 1969), 19-20.

RAISANEN H., *The 'Messianic Secret' in Mark*, (Studies of the New Testament and Its World; Edinburgh: T & T Clark, 1990) 26.

REID D. G. et al., *Dictionary of Biblical Imagery*, (Downers Grove: Intervarsity, 1998), 214.

RINGE S., *"A Gentile Woman's Story, Revisited: Rereading Mark 7:24-31"*, in A Feminist Companion to Mark, (ed. A.-J. LEVINE; A Feminist Companion to the New Testament and Early Christian Writings 2; Sheffield: Sheffield Academic Press, 2001), 89.

إيمـان الأبـــرص
مر ١ : ٤٠-٤٥

الأب
ريمون الهاشم
دكتور في
العلوم الدينيّة

مقدّمة

يندرج اختيارنا لنصّ مر ١: ٤٠-٤٥ «إيمان الأبرص وشفائه على يد يسوع المسيح» الذي خصّصته الكنيسة من أجل التأمّل بموضوع الإيمان ومفاعيله في حياة المؤمنين المسيحيّين الذين هم بحاجةٍ دائمةٍ للسعي إلى ترسيخ مفاهيم كتابيّة مجرّدة عن تفاسير قد تكون حرّفت علاقتنا مع الوحي الإلهيّ وأهدافه.

سنحاول بقدر المستطاع دراسة النصّ من خلال تحديده ووضعه في إطاره الأدبيّ وتقسيمه وشرحه واستخراج بعض الأفكار انطلاقًا من مقاربة بعض علماء الكتاب المقدّس لهذا النصّ وقراءتنا الذاتيّة له.

١ . الإطار الأدبيّ القريب والبعيد لـ مر ١: ٤٠-٤٥ وتحديده

يبدو لنا من القراءة الأولى للنصّ أنّ مر ١: ٤٠-٤٥ يشكّل وحدةً أدبيّةً قائمةً بحدّ ذاتها نوعًا ما بسبب التضمين (Inclusion) المرتكز على تكرار الفعل «أتى» في آ ٤٠ وآ ٤٥ أي في المقدّمة والخاتمة.

ويرى بعض شرّاح الكتاب المقدّس أنّ مر ١: ٤٠-٤٥ كوحدة قائمة بذاتها هي فقرة انتقاليّة تصل ١: ٢١-٣٩ بـ ٢: ١ - ٣: ٦، وتشكّل بذلك مقدّمةً لـ ٢: ١ - ٣: ٦، فهي على عكس الوحدات الأربعة التي تؤلّف ١: ٢١-٣٩ تبدأ دون تحديد أيّ إطار زمنيّ أو مكانيّ،

وتشير إلى الشريعة الموسويّة (١: ٤٤)، المسألة الركن في ٢: ١ - ٣: ٦. ، ولكنّ هذه النقطة الأخيرة غير مقنعة لأنّ آ ٤٤ تعطي صورةً عن يسوع كملتزمٍ بالشريعة في حين أنّ ٢: ١ - ٣: ٦ تُظهره متّهمًا بخرقها. كما أنّه توجد عدّة روابطٍ أدبيّةٍ وموضوعيّة بين ١: ٤٠-٤٥ والوحدات السابقة (١: ٢١-٣٩) ، ولا سيّما مع ١: ٣٥-٣٩ . أمّا الروابط الأدبيّة فهي: انتشار البشارة (١: ٣٩، ٤٥)، وانسحاب يسوع إلى القفر (١: ٣٥، ٤٥ج)، وبحث الناس عنه (١: ٣٧ب، ٤٥د)، وأمّا الموضوعُ الرابط والأساسيّ فهو السرّ المسيحانيّ (١: ٢٥، ٣٤ج د، ٤٣، ٤٤أ)، وهذا الموضوع يعاكس مجرى الأحداث اللاحقة في ٢: ١ - ٣: ٦، ممّا يجعل آ ٢: ١ مطلعًا جديدًا مع تحديدٍ زمنيّ ومكانيّ، وتبقى مر ١: ٤٠-٤٥ وحدةً أدبيّةً قائمة بذاتها ضمن القسم (١: ٢١-٤٥) المؤلّفِ من خمسة وحدات أدبيّة.

يرتكز مر ١: ٢١-٤٥ على سرد معجزات طرد الأرواح والشفاءات، وهذه المعجزات تتمّ مع نغمة متصاعدة ذات طابع مسيحانيّ تصِل إلى ذروتها في ١: ٤٠-٤٥، كما هي الحال أيضًا في (٤: ٣٥ - ٥: ٤٣)، و(٦: ٣٠ - ٧: ٣٧) و(٨: ١-٢٦)، وهنالك نقطة أخرى تصل أيضًا إلى ذروةٍ في هذه الفقرة في آ ٤٥د، وهي تسارُع الناس في أفواج إلى يسوع (١ : ٢٨، ٣٢، ٣٧).

٢ . تقسيم النصّ مر ١: ٤٠-٤٥

بنى الإنجيليّ نصّه حول شخصيّتين رئيسيّتين هما يسوع والأبـرص في حوارٍ على مرحلتين وما نتج عنهما:

المرحلة الأولى: آ ٤٠-٤٢

أ (آ ٤٠) يأتي أبرص نحو (يسوع)
ب يسترحمه: عناء القلب يُعبّر عنه (من الداخل) — ويخرّ على ركبتيه (الوضع الجسديّ): وضع عبادة - استسلام - قائلاً: العبارة.
ج «إن شئت فأنت قادر أن تطهّرني»
ب' (آ ٤١) تتحرّك أحشاؤه: تحنّن القلب (من الداخل) - ويمدّ يده (الوضع الجسديّ): القرب - التحنّن - لامسًا إيّاه قائلاً له:
ج' «قد شئت فكن طاهرًا»
أ' (آ ٤٢) وفي الحال ذهب البرص عنه بعيدًا وصار طاهرًا

المرحلة الثانية: آ ٤٣-٤٥ب

أ (آ ٤٣) فصرفه يسوع بعد ما أنذره بلهجة شديدة (الأمر بالانصراف)
ب (آ ٤٤) فقال له: «إيّاك أن تخبر أحدًا بشيء، (الأمر بالسكوت)
ج بل إذهب إلى الكاهن فأَرِه نفسك، ثمّ قرّب عن برئك ما أمر به موسى، شهادة لديهم» (يسوع الملتزم بالشريعة والمطيع لها)
أ' (آ ٤٥) أمّا هو، فانصرف (أطاعه وانصرف)
ب' وأخذ ينادي بأعلى صوته ويذيع الخبر، (عصى أمر السكوت)

النتيجة (تبادل الأدوار) آ ٤٥ج

أ فصار يسوع لا يستطيع أن يدخل مدينة علانيّة، (يسوع لا يستطيع أن يأتي باتّجاه الناس)
ب بل كان يقيم في ظاهرها في أماكن مقفرة، (المسيح صار كالأبرص يقيم في القفر)
أ' والناس يأتونه من كلّ مكان. (الناس يستطيعون أن يأتوا باتجاهه (وهذه حالة لاتشبه حالة الأبرص)

شرح نصّ مر ١: ٤٠-٤٥

كان مرض البرص حالةً مكروهةً ومخيفة، أسوأ بكثير من الحالات المرضيّة الاعتياديّة لأنّ الإنسان الأبرص كان يعتبر نجسًا لا مريضًا فحسب، وكان شفاؤه مستحيلاً، يرغمه وضعه على الانفصال عن عائلته وجماعته وهو أشبه بوضع المائت. أشار ريتشارد توماس فرانس إلى أنّه في العهد القديم كان الله وحده قادرًا على شفاء البرَص (خر ٤: ٦-٨ ؛ عد ١٢: ٩-١٥ ؛ ٢ مل ٥: ١-٢٧)، وهذا الشفاء كان يوازي القيامة من الموت (٢ مل ٥: ٧)، كما أنّ شفاء البرص وإقامة الموتى كانا علامةً على اقتراب الملكوت[1]؛ من جهة أخرى لم يكن يحقّ للأبرص الشافي أن ينضمّ إلى الجماعة قبل صدور شهادةٍ قضائيّة بالشفاء (لا ١٤: ١-٣٢)

بصرف النظر عمّا إذا كان مرقس يتوخّى من الشفاء برهانًا إيجابيًّا أمام الكهنة، أم شهادةً سلبيّة تجاههم، فهذه العجيبة شكّلت إعلانًا بحلول مطبّب جديد، وقادر في وسطهم. وكانت سلطة هؤلاء الكهنة محدودةً بتأكيد أم بنفي الأعجوبة، وكانتِ الضمانة لكشف النقاب عن الشفاء وعدم ابقائه سرًّا.

وقد تبادرت إلى ذهن علماء الكتاب المقدّس تفاسير عديدة حول نقاط الاستفهام التي تُطالعنا في هذا النصّ: جرأة الأبرص في خرق النُظم الاجتماعيّة وقضاء الشريعة في مجيئه صوب الأصحّاء لطلب الشفاء، وقراءة المشاعر القويّة التي خالجت نفس يسوع وانعكاسها على تصرّفاته، والأمر بالسكوت، وعدم انصياع الأبرص للنهي عن الكلام، وخرق يسوع لعُرف الطهر الذي يقضي بتجنّب النجسين بحسب الشريعة، وسنوردُ بشكل سريع بعض الحلول التي قدّمها الدارسون للنقاط التي ذكرنا.

تعامل وِلْيَامْ رَيْدْ مع القصّة على أساس أنّها واقعيّة مع أنّه كان رافضًا لتاريخيّتها فصنّفها مع عجائب أخرى وجمعها تحت عنوان المحظورات واعتبرها أمثلةً على محاولات يسوع لإخفاء هويّته وعمله، ثمّ أشار رَيْدْ إلى التناقض الحاصل بين السرّيّة والكشف، متسائلاً عن دقّة مرقس في وصف أفعال يسوع[2].

1 Richard Thomas FRANCE, The Gospel of Mark: A Commentary on the Greek Text, *The New International Greek Testament Commentary*. Grand Rapids: Eerdmans, 2002.

2 William WREDE, *the Messianic Secret in Mark*, London: James Clarke, 1971.

أمّا هايْكِيكي رايْزنَانْ فقد ركّز مجهوده على تحديد الخطوط العريضة للتقليد بدَل أن يلقي الضوء على المسعى الخلّاق والكتابيّ المرقسيّ، وعلى الرغم من عجزه عن إظهار الشكل الأدبيّ لـ مر ١: ٤٠-٤٥ وتاريخ كتابته بدقّة، فقد حدّد نقطة الارتكاز بمعالجته لبنية النصّ معتمدًا لا على الشفاء، ولا على النهي عن الكلام، ولا على شعور يسوع، بل على عصيان الأبرص لأمر السكوت وشعبيّة يسوع الناتجة عن هذا الإعلان[٣].

تجدر الإشارة إلى أنّ نموذج علم الاجتماع يدلّ على أنّ الفرد قد يوسَم بعمله أو بخاصّيّة ما؛ فإذا اعتَبَر إنسان شخصًا ما كاهنًا، وتوقّع منه أن يمارس وظيفة الكاهن، فهو بذلك يلقي عليه سِمة الكاهن؛ من هنا فإنّ طلب الأبرص للشفاء تضمّن جانبًا من عمل الكاهن المُتعارف عليه وهو إعلان شفاء أبرص، بمعنى آخر لقد طلب الأبرص من يسوع أن يقوم بعمل الكاهن. أشار مرقس إلى أنّ البرص قد زال، ونال المريض الشفاء، وبذلك يكون يسوع قد تمّم واجباته ككاهن وكشافٍ، ثمّ أمر الرجل باستحضار إعلانٍ رسميّ بالشفاء لدى أحد الكهنة (مر ١: ٤٢)، وبتقريب تقدمته بحسب ما أمر موسى ممّا يعني أنّه قد برِئ من مرضه وتطهّر.

أمّا جايْمسْ برُوكسْ فقد رأى بأنّ مرقس قد هيّأ الخبر في هذه المرحلة ركيزةً للخلاف الذي سيقع لاحقًا مع الكهنة في أورشليم، وهذه التهيئة للخلاف هي الأولى في سلسلة الوحدات الأدبيّة الأربعة التي ستتبع في تصويرِ تصاعد التوتّر بين يسوعَ والفرّيسيّين والذي ستكون خاتمته تآمر الفرّيسيّين مع الهيرودوسيّين (٣: ٦) لتدمير يسوع[٤].

ثمّ تساءل بعض الباحثين عن الاستعمال المرقسيّ للمفردات التي تُعبّر عن قوّة مشاعر يسوع؛ ففي آ ٤١، حيث قيل أنّ يسوع «أشفق»، وفي ترجمات أخرى قيل «تحنّن» - وهي ترجمةٌ لـ σπλαγχνισθεὶς [٥] - تعبيرٌ عن حالةٍ عميقةٍ من التأثّر تختلج في قلب الإنسان. لا يرِد هذا الفعل في صيغته سوى في اليونانيّة البيبليّة، وفي جذوره نجد كلمة σπλάγχνα، أي الأحشاء، مركز القلب الذي منه تنبع الشفقة ويتدفّق الحنان. هذه

3 Heikki RAISANEN, "The Messianic Secret in Mark's Gospel", p.132-40 in the *Messianic Secret*, Issues in Religion and Theology 1. Edited by Christopher TUCKETT; Philadelphia: Fortress, 1983.

4 James BROOKS A., *Mysterious Revelation: An Examination of the Philosophy of St. Mark's Gospel*. Ithaca: Cornell University, 1963.

5 Participe aoriste de σπλαγχνίζομαὶ

الصيغة تذكّرنا بسفر اللاويّين حيث أنّ القلب هو أيضًا مصدر الإرادة والتصميم، ولكنّ هذا الرابط يأخذنا إلى أبعد من ذلك في العهد القديم، إلى تذكّر رحمة الله وحنانه، وإلى ما يدعو نفسه به فهو «رحيم»، والكلمة مشتقّة من «رِحِمْ»، أي الصدر الأموميّ فإذا كان يسوع «أُخذ في أحشائه»، فذلك لأنّه يفيض بذلك الحنان الإلهيّ الذي يحمله في داخله.

هنالك بعض المخطوطات القديمة التي تستعمل كلمة οργισθεις (غضب حادّ) عوضًا عن كلمة εμβριμησάμενος (انتهره) في آ ٤٣أ، ممّا أبرز مشكلةً بالنسبة للشرّاح؛ وبما أنّ متّى ولوقا حذفا الآية، فقد عمدا على ما يبدو إلى ترطيب ملاحظة يسوع. إنّ كلمة οργισθεις تعني «غضب غضبًا حادًّا» وقد أُبدلت في أغلب الظن توخّيًا للتوفيق بين الأناجيل الإزائيّة حيث الآية في الأصل محذوفة في لوقا ومتّى كما أشرنا، وتوخّيًا أيضًا لإضفاء المثاليّة على صورة يسوع وحذف أي نمط تعبيريّ يصبُغه بالصرامة. ولكن هذه المحاولة التوفيقيّة بين الإزائيّين والمرطبة لوجه يسوع تسلب مرقس مقصده في التذكير بخصوصيّة هامّة أيضًا في العهد القديم وهي غضب الربّ، كعلامة على اقتراب الملكوت. إنّه غضب إلهيّ يعبّر عنه يسوع ضدّ المرض، أو ضدّ الشرائع التي تهمّش الإنسان وترذله في قارعة الطريق بعيدًا عن الحَضن البشريّ. وتأتي آ ٤٣ فتتوافق مع فكرة الغضب هذه بتعبيرٍ عن القساوة والتحذير في الكلام وذلك باستعمال كلمة εμβριμησάμενο، أي «انتهره»؛ ثمّ في الآية ذاتها يصرفه يسوع، وكلمة εξεβαλεν في آ ٤٣ب هي عينها التي استعملها يسوع ليطرد الأرواح النجسة. هذه القراءة تستنتج بأنّ الربّ يشدّد على أمر الأبرص بالسكوت بحسب الطابع المنهجيّ في مرقس المعروف بالسرّ المسيحانيّ، أي أنّ الإنجيليّ ركّز على أنّ يسوع كان يحمي هويّته لسببين أوّلاً كي لا يضعها الناس ضمن قالبٍ مصبوغٍ ومحدودٍ بالقدرات العجائبيّة، وثانيًا حتّى لا يعزُله الناس حتّى ولو وقتيًا لعلمهم بأنّه قد لامس الأبرص، فيؤخّر بذلك مشروع كرازته[6].

أمّا نحن فنسأل: كثيرون هم المرضى والمُعَوَزّين في أيّام يسوع الذين صادفهم في تجواله، فما الذي استوقفه في حالة الأبرص هذه؟ كان مرض البرص آفّة متفشّية وسريعة العدوى تضع المريض في عزلة عن المجتمع الذي يرفضه وينبذه؛ هذا الأبرص الذي سمع كلام يسوع، الذي قيل في الجليل والمجامع ونُقل إليه على لسان مَن تجرّأ واقترب منه وأحضر له حاجاته، (وعلى ما يبدو أنّ الذين نقلوا إليه أخبار يسوع وكلماته كانوا سبّاقين بإيمانهم فحذَوا حذو المسيح باقترابهم منه)، اجتُذب بفعل هذا الكلام صوب المسيح

6 Jean-Luc ROJAS, Journée des Malades, 2 mars 2008, Exégèse de Marc 1, 40-45.

والتجأ إليه بالرغم من رفض الناس له، وابتعاد عائلته الخائفة من العدوى عنه. أمّا هو فقد برهن عن إيمانٍ بالله جعله يأتي ويجثو متوسّلاً: «إن شئت فأنت قادر أن تطهّرني» (آ ٤٠)؛ وهذا اعترافٌ جذريّ بالسلطان الممنوح من الله إلى يسوع إذ لم يشترط الأبرص «إن كنتُ استحقّ»، بل عزا الأمر إلى مشيئة يسوع وحدها، ممّا يعني أنّ ثقة المتوسّل لن تتزعزع بقدرة المسيح حتّى ولو لم ينل الشفاء.

بعد هذه العبارة، تتبع الآية «فأشفق عليه يسوع، ومدّ يده فلمسه» (آ ٤١)؛ إذًا هذا المستوى من التوسّل، والاستسلام، والاعتراف المطلق الذي برهن عنه الأبرص حرّك قلب يسوع، فتحنّن عليه، وأشفق عليه وعلى جسده تحديدًا لأنّه كان ضعيفًا، أمّا إيمانه فكان قويًّا استرعى انتباه المسيح ولفت نظره و«حرّك أحشاءه»، ثمّ مدّ يدَه فلمسه. ماذا تعني هذه اللّمسة؟ هذه الحركة تمتدّ إلى اللحظة الأولى من مرض الأبرص وحتّى لقائه بالمسيح، وهي الفترة التي حُرم فيها من كلّ لمسة يد، ومن كلّ معانقة إذ لم يجسُر إنسان على الاقتراب منه. كان المسيح قادرًا أن يشفيَه بكلمة رضى، ولكنّه أبى إلاّ أن يلمسه لينتشله أوّلاً من عزلته، فلم تكن حركته لمسة شفاء، بل لمسة تعزية، وفي الحال شُفي (آ ٤٢).

فلِمَ أنذره المسيح بأنّ لا يخبر أحدًا (آ ٤٤أ)؟ هل كان ذلك كفيلاً بأن يحميَه من أن يشكّكه الناس بإيمانه، وأن يلطّخوا نفسيّته بتحاليلهم؟ أو هل كان مقصودًا لمنحه الوقت الكافي ليتأمّل بالحدث ويعمّق فهمه، فلا يكون انبهاره بالشفاء العجائبيّ، بل بالكلام الذي سمعه من يسوع؟

ثمّ أرسله ليستحضر شهادةً كهنوتيّة بالشفاء (آ ٤٤ب) لكي يستردّ هويّته الاجتماعيّة، ويستردّه أهل بيته، ويقدّم عن طهره ما أمر به موسى. وهذه علامةٌ بارزة بأنّ المسيح لم يأتِ ليزعزع الأوضاع والأعراف الاجتماعيّة، التي ما يزال كثيرٌ منها منتشرًا في أغلبية منطقة الشرق، ولا سيّما ترقّب الشعب والعشيرة لقرار رئيس العشيرة دون الجرأة بتخطّيه. إذًا احترامًا لهذا الواقع الاجتماعيّ، ولإيمان الناس بحكم الكاهن، أرسل المسيح الأبرص إلى الكاهن وخضّع عمله للنفوس وللقناعات التي هي محكومة بها؛ فبالرغم من كونه بريئًا من كلّ ما يختصّ بالناس، لم يواجههم، ولم يسلب قرارهم بل أفسح المجال أمام حرّيّتهم، ولذلك قال: إذهب إلى الكاهن.

أمّا تتمّة الرواية فهي تفاجئنا بموقف الأبرص الذي عصا أمر يسوع بالسكوت وانصرف

ينادي بأعلى صوته ويذيع الخبر (آ ٤٥)، فماذا عن هذا الموقف «المتمرّد» ظاهريًّا؟ إنّ هذا يردّنا إلى كلمة εμβριμησάμενος أي «انتهره» (آ ٤٣) وما تحمله من طاقة من المشاعر، وهذه اللهجة استعملها يسوع أيضًا مع الممسوسين فكان ينتهر الأرواح الشرّيرة؛ فماذا انتهر الربّ في الأبرص؟ إنّ الشرَّ الذي انتهره هو الخوف الذي كان متملّكًا بالأبرص بسبب رفض الناس له، حرّره من شرّه، فانطلق يصرخ للملأ لأنّ روح الخوف فيه قد مات بلهجة يسوع المنتهِرة، وامتلأ ثقةً بشهادته وبأنّ أحدًا لن ينتزع منه شفاءه أو إيمانه؛ لم يخالف كلام المسيح ولم يتمرّد على توصيته، بل موقفه علامة على أنّه تخلّص من خوفه. كانت رغبة يسوع شديدة بإبقاء الأمر سرًّا لكي لا يُجبر الناس على الإيمان به بسبب انبهارهم، بل ليبقى إيمانهم نابعًا منهم، غير أنّه بطبيعته لا يمنح شفاءات متجزّئة، بل أغدق على الأبرص شفاءً كاملاً فعزّاه أوّلاً في عزلته، ثمّ شفى برصه، وأخيرًا انتهر خوفه فحرّره بكلّيّته، ولو كان ذلك على حساب مخطّطه. لذا في نهاية الخبر، أوصلنا مرقس إلى نتيجة إذاعة الأبرص لخبر الشفاء: لقد انتشر صيت يسوع إلى درجة منعته من الدخول علانيّة إلى المدن، فأضحت سُخرية الحال بتبادل للأدوار بين يسوع والأبرص؛ فعاد الأبرص ودخل في اتّصال مع الجماعة بينما أُجبر يسوع على البقاء في الأماكن المقفرة، ولكنّ الناس في كلّ الأحوال ظلّوا يأتون إليه كما أتاه الأبرص في البداية.

المراجع

BROOKS James A., *Mysterious Revelation: An Examination of the Philosophy of St. Mark's Gospel*. Ithaca: Cornell University, 1963.

FRANCE Richard Thomas, The Gospel of Mark: A Commentary on the Greek Text, *The New International Greek Testament Commentary*. Grand Rapids: Eerdmans, 2002.

RAISANEN Heikki, "The Messianic Secret in Mark's Gospel", p.132-40 in the *Messianic Secret*, Issues in Religion and Theology 1. Edited by Christopher TUCKETT: Philadelphia: Fortress, 1983.

ROJAS Jean-Luc, Journée des Malades, 2 mars 2008, Exégèse de Marc 1, 40-45.

WREDE William, *the Messianic Secret in Mark*, London: James CLARKE, 1971.